اجتهادات
إذا قاتلنا جيدًا سنفوز

ختم المخرجُ البريطانى الكبير كين لوتش كلمته النابعة من قلبه، عقب عرض فيلمه الجديد «البلاط القديم» فى مهرجان كان السينمائى الذى اختُتم قبل أيام، قائلاً: (إذا قاتلنا جيدًا سنفوز). وقصد بالقتال العمل بكل قوةٍ لإزالة آلام اللاجئين فى أوروبا، وزرع الأمل فى قلوبهم. وهذه رسالةُ فيلمه الذى لم يفز بالسعفة الذهبية التى كان مرشحًا لها، ولكنه كسب قلب وعقل كل من يُعتبرُ إنسانًا، وليس كائنًا بشريًا فقط. وسيكسبُ أكثر على هذا الصعيد عندما يبدأ عرضُ الفيلم فى دور السينما 29 سبتمبر المقبل. وهذا مكسبُ أعظم، لو يعرفون، من الحصول على السعفة الذهبية التى نالها مرتين من قبل فى دورتى 2006 و2016.

وُصف فيلمُه «البلوط القديم» بأنه «دراما قتالية عن اللاجئين»0 صنعه وهو فى عمر السادسة والثمانين. تغير الكثيرُ فى العالم, ولكن شيئًا فيه هو لم يتغير. رفضُهُ الظلم وانتصارُه للمظلومين والمقهورين. قدرتُه الفائقةُ على صناعة دراما واقعية جدًا، ولكنها جميلةٌ جدًا أيضًا. دراما لا تخلو أحيانًا من شعارات، ولكنها تكونُ حال حضورها جزءًا لا يتجزأ من نسيج العمل، وليست مُقحمةً فيه.

قليلُ من هم مثله فى هذا الزمن. الصمود والثبات، والإخلاص لمبادئ تقدمية آمن بها ومازال فى عالمٍ يمضى فى اتجاهٍ معاكسٍ لها. ولكنه لا يكفُ رغم ذلك عن القتال بسلاح الفن من أجل عالمٍ حلم به. سلاحُ حقَّق الفوز مرات, منذ أن زلزل فيلمُه الأول (كاثى عودى للمنزل) 1966 النظام السياسى فى بريطانيا، ووضع مراجعة نظام التأمين الاجتماعى على جدول أعمال. وكذلك فعل فيلماه اللذان صنعهما أخيرًا0 أثار (أنا دانيل بليك) 2016 جدلاً واسعًا حول حقوق من يتقاعدون اضطرارًا، وهو الفيلم الذى تبرع بعائداته لحركة مقاطعة إسرائيل. وكان فيلم (عذرًا أتينا ولم نجدك) 2019 آخر طلقاته الفنية ، إذ فتح نقاشًا واسعًا عام 2019 حول قضية عقود العمل قصيرة الأجل.

والمتوقعُ أن يثير فيلمُه الجديدُ جدلاً لا يقل تأثيرًا عندما يُعرض تجاريًا فى الخريف. أفليس هذا كلُه خيرًا من جائزةٍ مرموقةٍ نالها مرتين من قبل؟